محاضرة بعنوان:

مَصَادِرُ التَّشْرِيعِ

وَأَثَرُهَا فِي تَوْحِيدِ الأُمَّة

لفضيلة الشيخ الدكتور

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

للمراجعة والتصحيح

ahmedassammani@gmail.com

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فهذه محاضرة قَيِّمة نافعة، ألقاها فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ بعنوان: «**مصادر التشريع وأثرها في توحيد الأمة**»، قمت بتفريغها في ملف مقروء.

ولأن المحاضرة مرتجلة، فقد جاء في ضمنها بعض الكلمات الدارجة، والتكرار غير المقصود، فقمت بالتصرف فيها علىٰ النحو الآتي:

أولاً: إزالة التكرار، إلا ما دعت إليه الحاجة، كإرادة التأكيد، ونحو ذلك.

ثانياً: شَكْلُ الكلمات الدارجة علىٰ قواعد اللغة العربية الفصيحة.

ثالثاً: حذف ما لا يستقيم المعنىٰ معه، أو إضافة ما لا يستقيم المعنىٰ إلا به، أو تبديل كلمة بأفصح منها، أو جملة بأخرىٰ أكثر اتساقاً.

وعموماً فالتصرفات قليلة.

وقد سبَق المحاضرة تقديمٌ، وتبعها مداخلاتٌ وأسئلةٌ، تجاوزت ذلك كلَّه؛ اختصاراً للتفريغ، وقصداً للفائدة. ومن أرادها صوتية كاملة فليسمعها من الرابط الموضوع هنا.

والله أسأل أن ينفع بها قائلها وناشرها وقارئها وعموم المسلمين

أحمد بن السمان

١٤٤٦/١١/٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الملك الحق المبين وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمـًا كثيراً.

أصحاب المعالي والفضيلة، أيها الأخوة العلماء والباحثون المشاركون في مهرجان الجنادرية الثاني والثلاثين، أيها الأخوة الحضور جميعـًا، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وإني بادئ ذي بدء أحمد الله تعالىٰ علىٰ جليل نعامه وتواتر آلائه وحسن عطائه وكثرة مغفرته ورحمته ومَنِّه وعفوه لعباده المؤمنين.

كما أني بهذه المناسبة أشكر لوزارة الحرس الوطني ممثلة في سمو الوزير، ومعالي النائب، وجميع الإخوة الذين أعدوا لهذه الفعاليات الثقافية والفكرية في مهرجان الجنادرية الوطني للتراث والثقافة في دورته الثانية والثلاثين.

كما أني أشكر لأخي وزميلي وصديقي فضيلة الأستاذ الدكتور/ توفيق بن عبد العزيز السديري كرمه بهذه الكلمات التي لو وصلنا منها إلىٰ أن نكون جميعا طلاب علم وبحث، ونبحث عن الحقيقة، ونرغب في نهضة الأمة، لكنا علىٰ خير، فنرجو الله جل وعلا أن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يوفقنا، وأن يجنبنا العِثار في القول والعمل.

كما أسأله سبحانه أن يجزي خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين خير الجزاء علىٰ ما بذلوه من الخير في عز الإسلام والمسلمين وقوة هذه الأمة وفائدة عباده.

أيها الأخوة الكرام هذه المحاضرة عنوانها مصادر التشريع وأثرها في وحدة الأمة، والموضوع لم يكن من اختياري، إنما عُرِضت علي ثلاث موضوعات، ثلاث عناوين، واخترت هذا العنوان، وحين اخترته لم يكن في بالي أين سيكون الاتجاه، لكن يتضمن مفردتين مهمتين أحبهما:

- المفردة الأولىٰ: مصادر التشريع.
- والمفردة الثانية: وحدة الأمة.

فمصادر التشريع يهتم بها كل طالب علم وكل فقيه وكل باحث في الفقه وفي أصوله؛ لأن مصادر التشريع هي المرجع الذي به يكون الحكم عند الفقهاء، وعند أهل الديانة، فيما اختلف فيه الناس من أمور.

والمفردة الثانية وحدة الأمة: وحدة الأمة مطلب عزيز عظيم كل مخلص لله جَلَّوَعَلَا ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين ولعامتهم فإنه يطلب هذه الوحدة؛ لأن الخير في الاتحاد والقوة، وفي الوحدة والتفرق الضعف وقوة الأعداء.

فالمفردتان مهمتان، لكن إلىٰ أين سنتجه في عرض هذا الموضوع؟ هل سنأخذه مأخذاً أصوليًا فندخل في مباحث مصادر التشريع ونعدِّدُها؟ والأدلة المتفق عليها والأدلة المختلف فيها والمذاهب في ذلك وما اتفقوا عليه منها وما اختلفوا فيه منها وندخل في دليل القرآن ودليل السنة وكيف يكون الاستدلال إلىٰ آخره؟ أم نذهب إلىٰ عرض مصادر التشريع كليًا ونأخذ الحصيلة النتيجة المآل من كونها حُجة؟

نفترض افتراضـًا أن مصادر التشريع الإسلامي مقبولة عند المتلقي الذي يسمع هذا الكلام، لا يناقش في أن القرآن حجة، والسنة حجة، والإجماع حجة، والقياس حجة علىٰ نحوٍ ما، ونحو ذلك، نفترض القبول، مع أن هناك الفكر العلماني المتطرف - وهو موجود - يقول: ليس القرآن بحجة ولا السنة بحجة ولا الإجماع بحجة إلىٰ آخره، فنفترض افتراضـًا مبدئيـًا أننا سنتناول من يهتم بنهضة الأمة وبوحدة الأمة من جهة شرعية.

هناك من ينظر إلىٰ الوحدة من جهة لغوية، ومن ينظر إلىٰ وحدة الأمة من جهة قومية، كقومية الأمة العربية أو أمم أخرىٰ، ومنهم من يفترض أن تكون وحدة الأمة علىٰ نحو التفكير العِلماني بالعِلمانية الشاملة، وهناك آراء كثيرة.

وحدة الأمة ومصادر التشريع نعرضها في البداية بإيجاز في أن العلاقة بين مصادر التشريع ووحدة الأمة علاقة فقهيـًا سليمة؛ لأن وحدة الأمة كان من أسباب وجودها وحدة منهج التلقي ووحدة أدلة التشريع، لذلك إذا كان هناك في مقام الاستدلال عند تقرير الحاضر النظرة لما حولك؛ نظرة لتعامل الإنسان مع الكون، ومع البيئة، نظرة لتعامل الإنسان مع الإنسان، نظرة لتعامل الإنسان مع الموافق ومع المخالف، مع دولته، ما هي المرجعية في تحديد علاقة الإنسان بما حوله من جهة كلية؟

المرجعية في هذا الطرح هي مصادر التشريع، يعني: القرآن والسنة والإجماع والقياس والقواعد الشرعية ومقاصد الشريعة الكلية، لذلك نهضت الأمة حين نهضت واتحدت حينما كانت متمسكة بالمرجعية في منهج التلقي وفي مصادر التشريع.

يعني الحجة في مصادر التشريع التي أقرتها الأمة علىٰ اختلاف مناهجها، أقرت بالقرآن، وأقرت بالسنة علىٰ نحوٍ ببعض الاختلاف، وأقرت بالإجماع علىٰ نحوٍ من الاختلاف، وأقرت بالقياس أيضا بخلاف يعني باختلاف في بعض صوره بعض مسائله، وأقرت بكثير من القواعد، خاصة القواعد الكلية العامة، وترتب هذا الإقرار علىٰ أن يكون الاختلاف في الأمة محدوداً.

حتىٰ انتقض القرن الأول ودخلنا في القرن الثاني، وزاد النقاش في موضوع الاحتجاج بهذه المرجعيات، كيف يحتج بهذا؟ ثم ظهرت الكثير من التفاصيل الفقهية في نوعية الاحتجاج.

زادت الفرق كلما صار هناك بُعد عن منهج التلقي الواضح في القرن الأول الهجري، زادت الخلافات، وصار هناك بحث في الموضوعات حول ذلك، بالتالي زادت الفرق، وزادت الأطروحات الفلسفية، والأطروحات الكلامية، وزادت المذاهب السلطوية واتجاهات الحكم، وتعددت الدول، إلىٰ آخره. حتىٰ ضعفت الأمة بذلك.

في وقتنا الحاضر لا شك أن وضع الأمة في تفرَّقها وضع لا تُحسد عليه، فهي في أشد حالات ضعفها فيما مر، ولا نقول أنها كانت في فترة سابقة أضعف والآن صارت أقوىٰ، ليس الأمر كذلك، الآن هي أضعف ما يكون، لماذا؟ لأن وحدة الأمة المطلوبة الآن تُضرب في صميمها بطرح المفاهيم الكبرىٰ الجديدة التي هي منوطة بالفكر الماسوني العام وتفريعاته في العِلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة.

كذلك الفرق ما بين الدين والثقافة، وسلطة الدين وميادين الثقافة، وأن لا يكون هناك علاقة بين الدين والثقافة، وألا يكون هناك علاقة بين الدين والدولة، وألا يكون هناك علاقة بين الدين والقيم، وألا يكون هناك علاقة بين الدين وسلوك الناس.

كذلك البعد الاقتصادي وأثر هذا البعد الاقتصادي في تكوين البعد الثقافي، والعولمة مثال كبير لذلك، حيث إن فكرة العولمة في أساسها فكرة اقتصادية ثقافية بامتياز، وهي مسيطرة، بالتالي فإننا حين نتحدث عن وحدة الأمة فنتحدث عن أمر صعب جداً علىٰ الحقيقة والتحدي فيه كبير جداً، بل إن الأمة الآن يُراد لها أن تكون متفرقة شَذَر مَذَر، إلا أن تجتمع علىٰ مصلحتها الدنيوية بمفهوم العِلمانية الجزئي ومفهوم العِلمانية الشَّاملة

العلمانية الجزئية ماذا تعني؟

العلمانية علىٰ مستويين: **العلمانية الجزئية**: تعني فصل الدين عن الدولة، فبالمفهوم العلماني لا علاقة للدين بالدولة، والدولة هي عبارة عن حكم وأرض وناس وتشريع، هذه العلاقة بين هذه الأشياء لا دخل للدين فيها وبالتالي فإنها لا يمكن أن تتوحد الأمة علىٰ منظور ديني لماذا؟ لأن الفكرة السائدة الآن هي أنه لا بد أن تكون الأمة داخلةً في العولمة وأن تبعُد عن تمييزها الثقافي أو خصوصياتها.

وهناك علاقة متينة جداً ما بين موضوع العلمانية وموضوع الخصوصية، وموضوع العولمة وموضوع الخصوصية.

النوع الثاني من العلمانية: **العلمانية الشاملة**:

العلمانية الشاملة تعني انفصال الإنسان عن الدين بكل الإنسان، يعني انفصاله في قيمه، في ثقافته، في فكره، في طريقة تعامله مع نفسه، وتعامله مع من حوله، فالعلمانية الشاملة والعولمة المطروحة حالياً هي السَّلب لسيطرة أو لمرجعية أو لمنهج التلقي، يعني لا وجود لمرجعية لمصادر التشريع، فمصادر التشريع تبقىٰ في دائرة العلماء في بحوثهم الفقهية فيما يتسامرون به

ويؤلفون ويناقشون في الجامعات، لكن يجب أن لا يكون هناك دخل وصلة ما بين هذا المنهج، منهج التلقي الرباني وما بين حياة الناس.

لذلك المعركة أيها الأخوة اليوم معركة كبيرة كأشد ما تكون في التاريخ، أشد ما يكون في التاريخ المعركة ما بين الإسلام وما بين الأفكار الأخرىٰ هي في هذا الوقت في العالم.

وهذه المعركة الكبيرة هي معركة في الأساس فلسفية، ثم نزلت من الفلسفة الدينية والفلسفة الإنسانية إلىٰ دوائر السياسة.

والفكرة العامة هي في الأساس ماسونية لأن الماسونيين من أوائل ما أرادوا تثبيته في الناس ليكون هناك منهج له هو العلمانية العامة بفصل الدين عن الدولة، وهذه صرحوا بها في وصاياهم وفي كتبهم، والعلمانية الجزئية بفصل الدين عن الدولة، والعلمانية الشاملة بالإبعاد عن القيم، لذلك كل علاقة تراها ما بين إبعاد الشريعة عن واقع الحياة فهي فكرة ماسونية علمانية تهدف إلىٰ عدم وجود الدين في حياة الناس.

هل هم أعداء للدين لأجل الدين؟ أو لأنهم يقتنعون أنه لا صلاح للناس بالدين؟ وهناك من العرب من يؤيد ذلك ويقول الإنسان يمكن أن يكون مع الإنسان وحدة واحدة وأمة واحدة.

أحد العرب العلمانيين المفكرين يقول: (الناس ممكن أن يكونوا أمة واحدة لو لم يكن هناك قرآن وسنة وأنبياء)، ويقول: (القرآن دلَّنا علىٰ ذلك)، مع أنه يقول: (القرآن ليس دليلاً)، لكن يقول القرآن دلكم علىٰ ذلك في قوله: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البَقَرَةِ : ٢١٣] فكان الناس شيئـًا واحداً، ولكن جاءت الأنبياء ففرقتهم.

وهذه الفكرة فكرة موجودة الآن أن الناس يمكن أن يكونوا أمة واحدة، ولكن عدو الوحدة، وحدة الإنسان، هي الديانات ويضربون أمثلة ليس بالدين الإسلامي فقط يضربون باليهودية في بعض جمعياتها وتجمعاتها ومنظماتها، وكذلك بالمسيحية في بعض تجمعاتها وكنائسها، وبالإسلام.

هنا إذا تكلم الغربي عن الإسلام المضاد للفكرة الغربية أو للعلمانية الشاملة فإنه يأتي ويقول: الإسلام في «المدرسة السلفية».

والمدرسة السلفية عندهم تشمل كل المدارس التي تقول إن مصدر التشريع هو الكتاب الذي يجب الرجوع إليه لتحديد علاقة الإنسان بنفسه وبمن حوله، ببلده، بالإنسان الآخر، مصدر التشريع القرآن والسنة والإجماع والقواعد والمقاصد، من احتج بهذه المصادر يعتبرونه مدرسة سلفية.

المدرسة غير السلفية التي تقول إن القرآن يناقش بالعقل، هو حجة لكن يناقش بالعقل، السنة حجة لكن تناقش بالعقل، نقبل منها ونَذَر، القرآن نقبل منه ونذر، ولذلك يذكرون كثيرا «نقد الموروث» في منظومات الحداثة.

«الحداثة» جزء أو يعني هي مفهوم فلسفي كبير للعلمانية الشاملة لكنها، أي: الحداثة وما بعد الحداثة وتفصيلات ذلك تؤدي إلىٰ أن كل شيء يجب أن يكون تحت النقد.

في النهاية لا يكون هناك احتجاج بمصادر التشريع، فبالمفهوم الغربي والدراسات الغربية الفلسفية سواء في الجامعات أو الفلاسفة السياسيين أو الفلاسفة الدينيين إذا قالوا «السلفية» فإنهم لا يعنون بها ما نفهمه نحن بالسلفية، فالسلفية تعني الذين يقولون إننا نرجع إلىٰ

أصول السلف في الاحتجاج، أصول الأئمة الأربعة في الاحتجاج في مصادر التشريع وهي القرآن والسنة والإجماع والقياس وأقوال الصحابة والقواعد الكلية والمقاصد العامة إلىٰ آخر ذلك.

عدم إدخال العقل في هذه المدرسة جعلهم ينظرون إلىٰ أنها السلفية، فأشد المدارس عداوة للحداثة عندهم هي السلفية بالمفهوم العام لها.

لكن إذا أردنا أن نأخذ صورة أخرىٰ؛ فإن المدارس الأخرىٰ التي تنفصل عن مدرسة تعظيم مصادر التشريع إلىٰ نقد مصادر التشريع هذه يحبذونها، ويطلق عليها مدارس مختلفة بأسماء مختلفة يعني بحسب المصطلحات الموجودة.

لذلك البحث في وحدة الأمة بحث صعب، صعب جداً، الأمم تتحد بجامع اللغة، تتحد بجامع الإقليم، تتحد بجامع التاريخ، بجامع الدين، تتحد بأنواع من الجوانب، لكن الأمة الإسلامية من المستحيل في المعطىٰ الحاضر أن تتحد، لماذا؟

أولاً لأننا أمام سؤال ضخم وصعب، وهو كيف تتحد؟

والسؤال الثاني الصعب ما هي عوامل هذا الاتحاد؟ وسائل هذا الاتحاد؟

السؤال الثالث الصعب أيضاً هل الأمة في نظرتها لبعضها البعض متفقة أم مختلفة؟

إذا بدأنا من السؤال الثالث هل الأمة في نظرتها لبعضها متفقة أو مختلفة؟ فدائماً تنظر إلىٰ أن من لا يعي المعركة فإنه يظن أن صِدام بعض طوائف الأمة مع بعض بقوة هذا يؤدي إلىٰ تنقية الصف، وإخراج الحقيقة، وهذا ليس كذلك، هو كذلك لو كان الجو غير هذا الجو، والقوىٰ غير هذه القوىٰ، والواقع غير هذا الواقع، والمجتمعات الدولية بغير هذه النظرة.

لكن مع سيطرة الحداثة والعولمة والعلمانية والماسونية بشكلها أو بأهدافها العامة فإنه من الصعب أن نقول: إن تفرق العلماء وضرب بعضهم لبعض بحثًا عن الحقيقة يؤدي إلىٰ وحدة في المستقبل.

المستقبل يتجه إلىٰ اتجاه واحد، فيما أرىٰ - والكلمة هذه أقولها صعبة - لكن يتجه، أقصد في العالم ليس في خصوص المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية لها خصوصيتها إن شاء الله ولها محافظاتها، ولكن نحن نبحث في الأمة وليس بحثًا داخليًا.

من الصعب جداً أن تتحد الأمة لماذا؟ لأن النظرة الآن اقتصادية في الدرجة الأولىٰ والثقافة التابعة، وبالتالي فإنه لا رؤية لتوحيد الثقافة، بل يراد أن تُحطَّم الثقافة الخاصة، خصوصية الثقافة لابد أن تُحطَّم، لا يوجد خصوصية.

ولذلك أي علماني أو حداثي أكثر كلمة تضايقه هي كلمة «الخصوصية»، هذه كلمة صعبة جداً جداً، خصوصية في الدين الإسلامي، خصوصية في الثقافة، خصوصية في الأمة إلىٰ آخره.

لذلك هم لا يقبلون أن يكون هناك تلقي لوسائل العيش الكريم إلا مع ثقافة العلمانية الشاملة، الغرب تفوق وقدم للبشرية خدمات جليلة بوسائل العيش الكريم، لكن هو لا يريد أن يصدر وسائل العيش الكريم للإنسان إلا مع ثقافة العلمانية الشاملة.

ثقافة العلمانية الشاملة وهي ألا يتدخل الدين في القيم ولا الأخلاق ولا أي سلوك إنساني، تدرس الدين في نفسك ومن معك، تعبَّد بنفسك، لكن هذا سلوك شخصي فقط لا دخل

له بحياة الآخرين، وبالتالي فإن العملية صعبة جدا في أن يكون هناك بُعد عن السيطرة الكبرىٰ للحداثة السيطرة الكبرىٰ للعولمة.

الإنسان بطبيعته ضعيف، كيف يَقوىٰ؟ يقوىٰ بقوة قياداته العلمية، يعني: في الدين، قياداته العلمية غير متفقة علىٰ كثير من التفاصيل، حتىٰ إنها غير متفقة علىٰ بشاعة المعركة.

هل كل أحد يشعر أن الإسلام في تحدي كبير الآن؟ الأمور تمشي بسهولة في العالم الإسلامي، لكن في الحقيقة أن العالم الإسلامي يُجَرد من هويته، يجرد من مرجعيته ومصادر تشريعه، ويُفصل في دينه، ويفصل في أخلاقه وقيمه عن دينه، وبالتالي فإننا أمام الكثير من التحديات.

إذا كان الأمر كذلك لا بد من أن يكون هناك مُصارحة مع النفس حتىٰ نعلم ما هي قوتنا، القوة في المشهد الخطابي لا تفيد، العقلانية في معرفة الحال والمآل هي التي تفيد.

المريض لا بد أن يقول أنا مريض حتىٰ يشعر بأنه لا بد أن يعالج المرض، نعم قد يطول علاج المرض لكن لا بد أن يعالج، هل نرضىٰ بأن وحدة الأمة يعفو عليها الزمن ونكون أقاليم دول؟ كل دولة مسؤولة عن نفسها، ويمكن بشكل أو بآخر أن تُضعف هذه الدولة بأي مقدر من مقدراتها، ويسيطر عليها بشكل من الأشكال دون أن تكون ضمن دول أخرىٰ.

هناك منظومات واجتماعات كبيرة، وجمعيات ومؤسسات إقليمية ودولية عربية إسلامية إلىٰ آخره، لكن فاعليتها في الدين في الثقافة في وسائل القوة في عوامل الاتحاد كلها وسائل ضعيفة.

يُبذل جهود لكن ليست في مستوىٰ التحدي وهنا لا بد من الذهاب دائما إلىٰ القوة المتاحة لتأصيل مصادر التشريع في الناس، وبقاء هذا الانتماء للدين وللتوحيد والتبعية للإسلام، والإيمان بالله جل وعلا إلها وربـًا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلىٰ الله عليه وسلم نبيـًا، وأن شريعته لازمة وخاتمة، وأنه يجب علىٰ الناس أن يؤمنوا بالله جل وعلا وبرسوله محمد بن عبدالله الرسول الخاتم.

هذه الكلية تحتاج إلىٰ أن تتعامل معها في خضم هذا التحدي الكبير بالمتاح، المتاح هي القوىٰ الفردية، الرأي العام، بذل الجهد في إيمان الناس وعدم النظر إلىٰ تحدي الزمن، الزمن يُلقي بظلاله في التحدي، القوىٰ تُلقي بظلالها في التحدي علىٰ نفس العالم وطالب العلم ونفس المفكر وفي نفس المثقف الإسلامي إلىٰ آخره، تلقي بظلالها ويشتد عليه حتىٰ يكاد يرىٰ أن لا مخرج.

لكن نحن أُعطينا عزاءً كبيراً في أن الرسل لم ينتصروا، الرسل قاوموا، والرسل بذلوا لكن لم يصلوا إلىٰ النتيجة فوراً، منهم من مكث مئة سنة، ومنهم من مكث مئتي سنة، ومنهم من مكث ألف سنة، لله الحكمة في قواعد المغالبة، كيف تكون؟ ولماذا يمُتحن المؤمنون سنوات طويلة؟ لله حكمة في ذلك.

لكن كيف تتعامل أنت ديانة حتىٰ تبرأ الذمة وتكون أنت متصل بالله جل وعلا، وفي نفسك مُضاد للأفكار الإلحادية، والأفكار اللادينية بصورها المختلفة؛ فكرة ليبرالية، علمانية، عولمة، إلىٰ آخره، هذه لابد أن يكون لدينا فيها بصيرة.

البصيرة أنه لابد من اتجاه للأفراد المسلمين، وأن تنقذ ما أراد الله جل وعلا إنقاذه، ما تيسر لك أن تخاطبه، لذلك التعاون في توجيه الرأي العام.

الرأي العام الإسلامي من الذي كسبه في القرون الأولىٰ؟ كسبه علماء الإسلام، لماذا؟ لأنهم يرجعونه إلىٰ مصدر التلقي مهما تغيرت السياسات؛ قامت الدولة الأموية وذهبت، وجاءت الدولة العباسية ثم تفرقت لدويلات ثم ذهبت، إلىٰ آخره،

لكن الناس في مرجعيتهم في دينهم متحدون، المرجعية واحدة؛ لأن الارتباط بالعلماء جعل لهم هذا الثبات في ذلك، مع وجود الاختلافات ووجود الافتراق في أشياء لكن الإيمان، ومصادر التشريع والرجوع إليها هذا أمر ثابت.

تجد أحداً يقول: الكتاب ليس بحجة، ولا السنة، ولابد أن نعيد قراءة القُرْآن، نعيد تبويبه، نعيد قراءة السنة، السنة يصح منها ما وافق العقل، وما لم يوافق العقل لا يناسب زماننا، النبي صلىٰ الله عليه وسلم أتىٰ إلىٰ قوم في زمن مبكر يُصلح حال البادية، ويُصلح حال الأعراب، ويُصلح حالاً لا يناسب زمن ناطحات السحاب، ولا زمن الكمبيوتر، ولا زمن الثقافة، إلىٰ آخر مثل هذا الكلام.

أيها الأخوة الكرام الذي ما يتداوله من يريد سيطرة ثقافة العولمة أو العِلمانية لو سمعتموه لعلمتم حقـاً أن المعركة كبيرة في العالم الإسلام، معركة الوحدة هذه معركة ضخمة ضخمة جداً، لذلك أنا من هنا أقول من موقع البحث لا من موقع المسؤولية، من موقع البحث الباحث المجرد، وطالب العلم المتفحص، أننا أمام تحدي كبير جداً جداً جداً، وهذا التحدي

الكبير لا ينقذنا منه إلا أن نكون علىٰ قوة اتصال بالله جل جلاله، وأن يكون الله جل وعلا هو أغلىٰ عندنا من أي شيء، وأن يكون هو المقدم جل جلاله علىٰ كل شيء.

هذا الإيمان هو الذي يكسر الأُطروحات جميعـًا، لذلك معركة الفكر والثقافة، معركة الأخلاق، معركة القيم، معركة الدين في نفسه، هذه معركة لا تظنونها سهلة، هي علىٰ أشدها في العالم كله.

ولذلك الاتجاه أن يكون العالم بالعولمة صاحب ثقافة واحدة يكون هناك خصوصيات خفيفة لكن يجب أن تنتهي خلال خمسين سنة، العالم كله لابد يكون شيئـًا واحداً بفكرة واحدة بثقافة واحدة وهي الثقافة العلمانية المفتوحة، الدين ليس له علاقة بالإنسان، ليس فقط الدولة الدين ليس له علاقة بالإنسان.

وسوف يكون يوم من الأيام فيما يأملون، ونحن بإيماننا بالله جل وعلا نقول لن يكون ذلك بحول الله جل وعلا وقوته، فهم فيما يأملون أن يكون هناك انتزاع ثقافي لكل ما يخص التاريخ الإسلامي.

لذلك العلاقة ما بين الحضارة الإسلامية واللغة العربية والاعتراف بالدين علاقة جوهرية، القومية العربية جاءت قوية وكان لها أهداف لكنها خطرة في بعض المفاهيم وموافقة في المفاهيم العلمانية، ولكن خطرة في بعض المفاهيم لذلك حُوربت ووُئِدت

القومية الإسلامية يعني الأمة الإسلامية وُجِدت في عدد من الأُطروحات، ثم خُلخِلت حتىٰ صارت ضعيفة أو صارت في مجرىٰ التاريخ.

العلماء اليوم ما بين واعٍ للمرحلة، وما بين غير واعٍ، ما بين من يظن أنه يمكنه أن يحقق للدين مكسباً بأن يكون ضد إخوانه عَلناً، ويجب أن يزيد من النقد لإخوانه العلماء والرد عليهم وإشغال نفسه بذلك حتىٰ يكون هناك انتصار للحقيقة.

وفي الواقع أيها الإخوة أن الفكرة العلمانية أقوىٰ من فكرة المهتمين بالدعوة الإسلامية لذلك بعض المهتمين بالدعوة الإسلامية، سواء كان اهتمام سلفي أو اهتمام حَركي، بعضهم يخدعون ويُمْتَطَون لتحقيق أهداف الرؤىٰ الثقافية والعلمانية والحداثة من حيث لا يشعرون، وفي النهاية يظن أنه مُصلح وهو ليس كذلك.

هنا دائماً لابد للذي يعاني هذه الأمور أن يسأل نفسه السؤال الكبير حينما يأتي أمر من المسائل المشكلة التي قد يدخل فيها مما قد يؤثِّر في وحدة الأمة ينظر من المستفيد من وجود هذا الشيء؟ فنجد أن جواب هذا السؤال يحدد لنا جهة الاستفادة.

فإذا كان المستفيد هو الحق، المستفيد هو البحث، المستفيد هو بيان الطريق، المستفيد هو مصادر التشريع حينئذٍ يكون نقاشاً علمياً صحيحاً في داخل الأمة.

لكن إذا كان المستفيد هي العلمانية، المستفيد هي الحداثة الغربية، حداثة العولمة، أو ثقافة العولمة، فكيف يدخل فيها أصحاب فكر؟! كيف يدخل فيها أحرار لثقافة الأمة؟! كيف يدخل فيها من ينتمي بحقيقته إلىٰ دين الإسلام؟!

عدم الوعي ليس عذراً؛ لأن اليوم كل شيء موجود، تدخل في أي مكتبة تجد كتب الإلحاد والعلمانية والحداثة وكل الأفكار بتفاصيلها؛ مدارس الليبرالية، والليبرتارية، وكل ما يتعلق بذلك؛ الليبرالية الحكومية، والليبرالية العامة، الحرية وأنواعها.

الحرية في مفهومها العام هي تخلص الدولة وأنظمة الدولة من سلطان الدين، فهي تلتقي بشكل أو بآخر مع العِلمانية، فإذا تخلصت الدولة من سلطان الدين في أنظمتها وفي تشريعاتها دخلنا في الفكرة الكلية لمضادة وجود هذه الأمة.

الأمة الإسلامية لا يمكن أن تنهض إلا بعلمائها؛ لأن العلماء هم القادرون على أن يقولوا بما جاء في مصادر التشريع، والعلماء هم المؤتمنون في هذه المرحلة، ولذلك لا بد للعلماء أن ينهضوا بواجبهم تجاه وحدة الأمة، باجتماعهم، وبإزالة خلافاتهم أو بتناسيها.

لخدمة الهدف الأكبر وهو أن لا يُجتَثَّ الدين، ألا يُجتثَّ الإسلام، وأن يبقى أن يقال فلان يصلي فلان طيب ولكن لا دخل له بالسلوك لا دخل له بالقيم لا دخل له بأنظمة الدولة لا دخل له بالتشريع.

الله جل وعلا يُعزَل عن الحكم في أرضه!! الله هو الخالق، هو الذي خلق، ومن خلق فله الأمر، هذه عقيدة المسلم.

وبالتالي مصادر التشريع: الكتاب، والسنة، والإجماع إلى آخرها يجب أن تحكم لتتحد الأمة عن طريق العلماء، أما غير طريق العلماء فلا تثق، لا تثق.

لذلك العلماء يجب أن يُرتبوا وضعهم، وأن يعيدوا حساباتهم، وأن ينظروا إلى المستقبل وأنهم مؤتمنون عليه، وأنهم إذا خُدِعوا فإنهم هم الملُومون.

تدخل اليوم في النت وترى جميع المواقع بجميع الأفكار يمكن أن تفرغها أو تقرأها مباشرة أو تفرغها على ورق وتحلل وتنظرفتجد المسألة اكبر مما تتصور.

هنالك ناس عندهم إخلاص، يريدون التوفيق ما بين الاسلام والعِلمانية الشاملة، التوفيق يخرج لنا مدارس تنويرية مختلفة. لكن في الحقيقة ليس لها نهاية.

التنويري، يريد ان تتوسط، فما هي الحدود؟ الىٰ اين سيتجه؟ سيتجه في النهاية بشعور أو بلا شعور، بتسليم او بلا تسليم إلىٰ العلمانية الشاملة، أو يقول لا هذا حدي، فلماذا وقفت عند هذا ولم تقف عند ما قبله؟ يقول: هذه حاجة، طيب الحاجة غداً ستزيد حاجة المجتمع ستزيد.

والدفاع عن الاسلام من التُّهم لا يعني ان تتخلىٰ عن مصادر التشريع، لا يعني ان نقول إننا نستغني عن الايمان بالله كوجهة للمجتمع وكوجهة للدول، فنستغني عن التشريع في الحكم والقضاء وفي الدساتير وفي التنظيمات.

التفكير بحل المشكلات يجب ان يكون تفكيراً واقعيًا، فأن نكون في منتصف الطريق سيستفيد من ذلك القوي. دائمًا إذا جاء قوي وضعيف الضعيف يقول: أنا أحل جزء من المشكلة والتقي معه في منتصف الطريق، اذا كان الالتقاء في منتصف الطريق ممكن كحل شامل يمكن ان يكون في القواعد الشرعية والمقاصد ما يؤيده. لكن الحقيقة ان الالتقاء في منتصف الطريق هو خطوة لازالة هذا المُعارض ولإقناعه.

يقول: طيب نمشي ونمشي قليلاً، بعد خمس سنوات أو أربع سنوات تنتهي الفكرة، وينتهي صاحبها، وتكون هناك الغلبة للتفكير الشامل اللاديني.

هنا نقول أن طريق وحدة الأمة يكون عن طريق مصادر التشريع، عن طريق أهل العلم، وغير ذلك فإن العلمانية الشاملة تكتسح. والعولمة تكتسح. معها قوىٰ مادية،، قوىٰ تخطيطية، معها قوة إعلامية فظيعة، معها ضعف الانسان، شهوات الانسان، رغبته في الخلاص، يريد الإنسان نموذجـاً إنسانيـاً جميلاً بحتـاً، الكل فيه يعيش لوحده، يعيش كما يريد، الىٰ اخره.

لذلك يقول بعض من يقول: إنه يجب للأمة ان تتفتت وان تنهض من جديد بالفكرة العلمانية الشاملة، ويقول بعضهم: إن سبب الغلو وسبب التطرف ليست هي أفكار الناس هو القرآن. القرآن هو السبب. ويأتيك بالآيات وبالأحاديث.

يقول أحدهم – وهو مفكر مغربي عِلماني – (القرآن فيه خمسمائة اية في القتل، والمواجهة والإضرار بالاخر ... إلىٰ آخره. وفيه كم اية في الود والسلام... إلىٰ آخره).

ما نريد ان نسيء أسماعكم بمثل هذا الكلام، لكن لتفهموا ان هناك من يقول المشكلة في القرآن. في بعض البلاد لا يجسرون علىٰ ذلك. ما وصلوا الىٰ هذه المرحلة. لكن اعلم انه من هاجم الاسلام فهو يريد القرآن، يريد مصادر التشريع جميعـاً ان تذهب، يقول: (القرآن سبب المشكلة. الكتب السماوية كلها: القرآن والإنجيل والتوراة هي سبب كل التطرف وبالتالي يجب ازالة الدين من الحياة حتىٰ يكون هناك حياة إنسانية راقية).

هذه الافكار مؤثرة في المسلمين، وبالتالي هي عنصر هدم قوي في بناء وحدة الامة، بل هي معوِّق كبير جداً جداً في ذلك.

هنا نأتي الىٰ أن مرحليات العودة لقوة الامة وتوحيد الامة عبر مصادر التشريع، لابد أن يكون هناك اتفاق عليها، ويكون هناك دعوة للامة الىٰ الاهتمام بمصادر التشريع، الذي نسميه نحن هنا في المملكة العربية السعودية «التوحيد».

توحيد الله جل وعلا في ربوبيته وإلاهيته وأسمائه وصفاته، توحيد التشريع، الإيمان بما جاء عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، الشريعة حاكمة هنا.

إذا جاءت كلمة «الشريعة حاكمة» يقولون طيب بأي مفهوم؟ الشريعة لا تصلح وفيها وفيها. إذا اقتنعنا بالمبدأ امكن التجديد.

لذلك عندنا مفهوم التجديد ومفهوم الانسياق مع العلمانية، هذان مفهومان يرُوجان علىٰ كل صاحب غَيْرة وصاحب حب لله جل وعلا ولرسوله ﷺ فأحدهم يأتي ويُخدع باسم التجديد. ولكن هو يجدد لا لصالح الدين. هو لصالح العلمانية الشاملة.

وبالتالي فانه ليس معذوراً أن يقول أنا أجدد وهو لا يعرف إلىٰ أين يتجه هذا التجديد، يقول أنا أشترك مع فلان وفلان وفلان في منظومات جديدة للحياة. في أننا نسير ونُبيِّن محاسن الدين، ولكن لابد أن تعرف أن لا يأخذوا هم الثمرة، وأنت في النهاية تكون الخاسر.

الدفاع عن الدين ليس شيئًا واحداً، نعم الكثير يدافعون، سواء في الدوائر الغربية عبر الجامعات عبر المراكز عبر البحوث ومشكورين ويؤدون جهدا كبيراً جداً في الدفاع عن الاسلام وتوضيح حقائقه.

لكن الحقيقة أن البحث ليس حراً، البحث بحث استبداد، حتىٰ لو أتيح للمسلم يتكلم وللعالِم الشرعي يتكلم هو بمنظور استبداد، (نحن الاقوىٰ يجب أن تسمع، لكن نتيح لك

فرصة، تقول ما تريد)، فالاستبداد هو الماشي في العالم، الاستبداد العلمي الاستبداد الفكري، الاستبداد السياسي، هو الذي يمشي في العالم.

لكن الطريق هو أن يكون هناك عند المؤمن وعند المسلم وعند طلاب العلم وعند المفكرين وعند المثقفين الذين يحملون همَّ هذه الأمة أن يكون عندهم معرفة بالواقع، وأن يكونوا أهل حكمة ولين، وأن لا يستعجلوا الأمور بشيء لم يقدِّره الله جل وعلا، وأن يعرفوا كيف تأخذ القوة، وكيف تُمسك بزمام القوة.

النبي ﷺ أتىٰ لقوم مشركين وأسلم معه أبو بكر رضي الله عنه وكانا اثنين فقط، ثم تبعهم ثالث، ثم آخر، إلىٰ عشر سنوات كانوا شيئًا ومئة، يعني عدد قليل بالمئات، ثم في المدينة زادوا وصاروا أكثر وأكثر، ثم بعد عشرين سنة صار الأمر أن القرآن والسنة هما المسيطران في أكثر الأرض.

وهذا كلُّه يعطيك أن العمل لا بد منه، لكن لا بد من صدق وإخلاص ومعرفة بالعدو، لذلك الله جل وعلا في القرآن أكثر من ذكر الأعداء، طائفة من اليهود، وطائفة من النصارىٰ، والمنافقين، والشيطان، وقال الله جل وعلا لنا في سورة النساء بعد ذكر بعض العداوات الموجودة: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النِّسَاء : ٤٥].

كفىٰ بالله وليـًا، ومن لم يكتف بالله وليـًا له فليس له كفاية من أحد، ومن لم يكتف بالله نصيراً له فلن ينصره أحد، الجميع سيخذلك إذا لم تنتصر بالله، ففي نفسك أن الناصر هو الله، وأن وليَّك الله، وباقي الناس وسائل تستخدمهم وتستفيد من كل الوسائل المتاحة؛ وسائل بشرية ذاتية، أو وسائل الدول، أو وسائل الصناعات إلىٰ آخره.

لكن لا نغمض الطرف ولا نعرف أين موقع القدم، هذا لا شك أنه ضعف في النظرة لوحدة الأمة وكيفية الأخذ بزمام القوة.

لذلك هنا نقول: أهل العلم يختلفون عن غيرهم، أهل العلم عندهم وَعي لكن عندهم حكمة ومعرفة بقَدَر الله جل وعلا، قَدَرُ الله جل وعلا يمضيه في كونه بالضعف والقوة، من أسماء الله جل وعلا الحسنىٰ القابض الباسط، وهم أسمان مقترنان يُطلقان معـًا علىٰ الله جل وعلا؛ لأنه سبحانه كما قال في القرآن ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٤٥].

فالله جل وعلا يقبض، حتىٰ يقبض الديانة ويبسط غيرها، ثم يبسط الديانة ويقبض غيرها، لأن حكمته سبحانه في خلقه تقتضي ذلك، لكن الابتلاء حاصل لكل واحد منا.

أما أن نعتبر أنه لا وجود لمعركة، وأن هذه في أوهامنا، وأن الناس لا يخططون لعلمانية شاملة في الأرض، وأن الناس لا يريدون من الدول الإسلامية إلا أن تكون كذا، وأن المعركة تسهيل وتسطيح الأفكار، هذا لا يعرفه من يعرف كيف يفكر الناس.

نعم لا نبالغ في التفكير السلبي، لكن نكون علىٰ وعي، لا بد أن نكون علىٰ وعي حتىٰ نتَّجِه إلىٰ مرحلة قادمة.

التأثير علىٰ القُوَىٰ الموجودة كل علىٰ حسب قدرته، الإنسان منا لا يعيش في دوَّامة لوحده، هو يعيش في بيته، يعيش في عمله، يعيش ضمن مؤسسة، يعيش ضمن دولة... إلىٰ آخره، لا بد أن يكون له أثر في كل مكان هو فيه، لكن لا بد أن يكون عنده وعي لأنه إذا لم يكن عنده وعي مُرِّرت أشياء وقد يستطيع وقد لا يستطيع، لكن يكون عنده وعي ليعرف إلىٰ أين يتجه العالم وبالتالي لا يُخدع؛ لأن اليوم المعارك أكبر مما تتصور.

خذ مثلاً واحداً: (معركة المصطلح) كلمة بسيطة لا تؤثر، المصطلح يُرمىٰ أولاً من أناس يفكرون، فلاسفة يفكرون في كيفية أثر المصطلحات في الناس.

مع أن مصادر التشريع القرآن والسنة هي التي صنعت المصطلحات الجديدة التي تختلف عن استعمال العرب لنقلها إلىٰ المستقبل، وما يسميه ابن فارس في (فقه اللغة): «الأسباب الإسلامية» ألفاظ جديدة جاءت مصطلحات في كل شيء مصطلحات انتقلت لماذا؟ لكي يكون هناك استعمال لمصطلح جديد بمفهوم الإسلام لا بالمفهوم العربي الأول.

الآن مصطلحات نحن نتلقىٰ مصطلحات، إعلامنا يتلقىٰ المشايخ يتلقون لكن لا حيلة لهم أن كل هذه المصطلحات تأتي وتستعمل من الذي أتىٰ بمصطلح الإرهاب؟ الإرهاب بهذا النحو؟ الغرب.

الإرهاب بدأ في أوروبا في آخر القرن التاسع عشر، وَسُمِّي الإرهاب، وبحثوا في كتب طبعت في العشرينات والثلاثينات الميلادي من ١٩٢٠ و ١٩٣٠ الفرق بين الإرهابي والفدائي ثم دخلوا في قضايا كثيرة إلىٰ آخره. الإرهاب بدأ هناك، ثم صِيغ هذا العنوان واستخدم استخداماً خاصاً.

مصطلح الإسلام السياسي بدأ في أوروبا، استعمله أساتذة في إيطاليا مهتمين بمصطلح الإسلام السياسي ولهم كُتب فيه، ثم انتقل من ثلاثين سنة أو أربعين سنة في تحليل بعض المظاهر الموجودة، واستعمل وشاع هذا الاستعمال بشكل أو بآخر، بعضه صحيح وبعضه غير صحيح.

الإسلام ما نزل ليكون تعبداً في الصوامع، وتعبداً في البيوت، وتعبداً في المساجد فقط، عبادة الله جل وعلا وحده لا شريك بالعبادات فرض لازم، لكن أيضا آيات الحكم في القرآن كثيرة مثل قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المَائـِدَة: ٤٩]، تُبيِّن أن الإسلام جاء لا ليكون في معزل عن الحياة، جاء ليكون في الحياة، ليكون مؤثراً، لكن اختطاف الإسلام بمفاهيم غير شرعية، بغير قيادة العلماء، هنا جاء الكثير من اللبس في مثل هذه الموضوعات.

البحث في كثير من الأشياء يتولد عنه لبس إذا انسقنا وراء مصطلحات غربية، لذلك علينا تحدي كبير، وأقول: الطريق يبدأ من أهل العلم في أنهم يُوحدوا الأمة عبر مصادر التشريع، وأن يعملوا مع كل الوسائل المتاحة؛ سواء كانت وسائل حكومية أو وسائل جمعيات أو جماعات أو مدارس أو هيئات إلىٰ آخره يجب أن يعمل الجميع؛ لأن المعركة كبيرة، وتسطيح المعركة أو إخراج الفكر أن يكون هناك معركة هذا تفكير سطحي جديد ولا يمثل حقيقة الغَيرة علىٰ هذه الأمة.

الموضوع له شجون، وختاماً أسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد، وأشكر لكم حضوركم وحسن إنصاتكم، وأن يجعلنا وإياكم من الأبرار قولاً وعملاً، وأن يوفق ولاة أمورنا، وأن يجعلنا وإياهم من المتعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، وأن يعز هذه الأمة، وأن يرينا في أمة محمدﷺ خيراً.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.